دراسة معجمية للتغير الدلالي في فهم واستعمال ألفاظ القرآن الكريم في الحقل السياسي في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الحديث ، من منظور تاريخي

مقدمة:

يعرض الأستاذ إبراهيم السمرائي[١] لحقيقة التطور اللغوي التاريخي قائلا :

" يعتبر القرآن الكريم في تاريخ العربية حدثاً مهماً ، وذلك لأنه نموذج جديد لهذه اللغة الكريمة، تطورت العربية في هذا النموذج فكانت خليقةً بأن تكون معبرة عن دين جديد ، هو في حقيقته حضارة جديدة ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الإسلامية الجديدة مادة لغوية جديدة ، ولذلك أدرك العلماء في فترة سابقة من العصر الإسلامي أنه لا بد من فهم لغة التنزيل فهما جديداً لما فيها من أسرار لغوية جديدة".

إن نجاح أي دراسة لغوية تاريخية يعتمد في المقام الأول على دراسة علم اللغة التاريخي ، وهذا يستلزم بطبيعة الحال الرجوع إلى معاجم لغوية تتيح لنا وصفا دقيقا وشاملا لمدلول اللفظ في حقبة تاريخية معينة ثم مقارنته دلالياً بحقبة تاريخية أخرى ، ذلك أن أية دراسة لغوية يجب أن تدخل في اهتمامها البيئة المحيطة والفترة الزمنية التي يشيع فيها استخدام هذا اللفظ.

ومن هنا نقترح أن تكون العصور التي ترصد التغير الدلالي على الألفاظ القرآنية في إطارها في ثلاثة عصور:

(١) العصر الجاهلي

(٢) العصر الإسلامي :بدءاً من نزول القرآن الكريم حتى آخر القرن الأول الهجري ويطلق على هذه الفترة عصر الاحتجاج وهو العصر الذي جمعت فيه مفردات اللغة العربية ووضع النحو والصرف وعلوم اللغة وصار يستشهد بها على دلالات الألفاظ ، كما يستشهد بها على ضبط تركيب الجملة.

---

(١) إبراهيم السمرائي ، ١٩٦٦ ، التطور اللغوي التاريخي ، معهد البحوث والدراسات الإسلامية ، غير منشور ، ص٤٣.

(٣) العصر الحديث : وهو الغرض الأساسي من الدراسة حيث أن الدراسة موجهة للمترجم في العصر الحديث.

وهنا يشير الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه " أسس علم اللغة العربية" [٢] صفحة (٩٩) إشارة مهمة وهي أن حركة الجمع اللغوي توقفت في القرون التالية بعد أن لاحظ علماء اللغة تغير الاستخدام اللغوي بعد القرن الثاني الهجري.

ولسوف تركز الدراسة على حقل دلالي واحد تنتمي إليه مجموعة من الألفاظ وهو حقل الحياة السياسية ، حيث يقترح الباحث دراسة التغير الذي طرأ على هذه الألفاظ عبر عدة عصور ، ذلك أننا عندما ندرس نصاً لغوياً مثل القرآن الكريم ، تتضح لنا ظاهرة لغوية تتمثل في أن اللغة في حالة تغير دائم ، ونعني بالتغير الدلالي ذلك التغير في فهمنا لمدلول اللفظ عبر عدة عصور ، فاللفظ القرآني ثابت ومحدد ، والذي يتغير هو استعمالنا للفظ عبر عدة عصور ، ومن ثم يتضح أننا في حاجة إلى دراسة النظام اللغوي على أساس دراسة الاختلاف والتشابه بين حقبتين تاريخيتين ، ذلك أننا نجد صعوبة بالغة في معرفة ما هو متشابه وما هو مختلف دون تحليل النظام اللغوي الذي تسير اللغة تحت مظلته ، والمعنى القرآني في كثير من الأحيان قد يختلف عما قبله وعما بعده.

والجدير بالذكر أنه من المقترح دراسة حقل الحياة السياسية لما لهذه المفردات السياسية من أهمية بالغة سواء في العصر الإسلامي الذي أرسيت فيه أسس بناء الدولة الإسلامية مثل " الشورى " ، " البيعة " ، "الحكْم" ، ولما لهذه الألفاظ السياسية كذلك من أهمية بالغة في العصر الحديث الذي تتداعى فيه الأحداث من حولنا يوما بعد يوم ، وما يترتب على ذلك من شيوع ألفاظ جديدة مثل " الديموقراطية " ، " التأييد " ، "المناصرة" و"الدستور" و "التعديلات الدستورية" وما شابه ذلك وهنا يأتي دور اللغة في التعبير عن هذه المفاهيم الجديدة ، وكذلك فإن هذا الحقل اللغوي تتضح فيه بشدة هذا التغير الدلالي عنه عن سائل الحقول الدلالية الأخرى.

تبدو لنا هنا نقطتين بالغتين الأهمية وهما :

---

(٢) محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٨.

أولا: هذه الدراسة لا تفرغ النص القرآني من محتواه التفسيري فدراسة التفاسير أمر بالغ الأهمية للمترجم ، ولكننا نؤكد أن مترجم معاني القرآن الكريم ليس فقط دارساً متعمقاً للتفاسير ، ولكنه أيضاً في حاجة ماسة إلى أن نثري عقله بسلسلة من الدلالات اللغوية التي تجعله ، جنباً إلى جنب مع دراسته للتفاسير ، أكثر قدرة على استيعاب مدلول اللفظ عبر عصور تاريخية مختلفة ومن ثم يصبح أكثر معرفة باللفظ مما يساعد على تسهيل مهمته الشائكة ، ويصبح أكثر قدرة على اختيار اللفظة التي تتناسب مع مدلول النص القرآني ولا تتعارض مطلقاً مع كتب التفاسير.

ثانيا:

هذه الدراسة لا تعني اجتزاء المفردة القرآنية والتعامل معها خارج سياقها ، فهذا غير ممكن ولا يجب أن يحدث ، فالمترجم لا يترجم كلمات مفردة ، ولكنه يترجم تراكيب قرآنية والمفردة السياسية جزء من هذا التركيب وترتبط داخله مع الكلمات بعلاقات تحدد موقعها ودلالاتها ، ومن ثم فإن فهمنا لدلالة اللفظ في القرآن الكريم لا يرتبط بتطور دلالته واستعمالنا له حسب العصر والبيئة فقط بل يرتبط أيضا بموقعه في التركيب ، فاللفظ القرآني جزء من هذا التركيب يؤثر فيه ويتأثر به والمترجم مطالب بالبحث في دلالتها في إطار التركيب وفقا لما أوردته نظرية العلاقات وهي نظرية تعود أصولها إلى نظرية النظم في الفكر البلاغي القديم عند الجاحظ وعبد القادر الجرجاني وهي نظرية نشأت أساساً لدراسة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من جهة نظمه أي العلاقات التي تربط بين المفردات داخل التركيب القرآني[٣].

مشكلة الدراسة :

تناقش الدراسة الصعوبات التي قد تواجه المترجم نظرا للتغير الدلالي الذي يطرأ على اللفظة القرآنية نتيجة تغير فهمنا لها واستعمالنا لها بفعل تغير العصور وما يظهر من مشكلات جديدة وما يطرأ على الثقافة والمجتمع من تغير سياسي أو اجتماعي أو ثقافي

---

(٣) عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاعر ، الأعمال الفكرية ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ م ، ص (٨٠)

واللغة بطبيعة الحال هي وسيلة التعبير عن هذه التغيرات المتلاحقة التي نعايشها في حياتنا اليومية ، خاصة أن هناك مجموعة كبيرة من اللهجات والمتغيرات المحيطة التي تتفاعل مع لغتنا المعاصرة فأصبح التغير الدلالي أمرا ملحوظاً تماماً بدرجة يمكن القول معها بأننا في حاجة ماسة إلى تسجيله كظاهرة لغوية.

مظاهر التغير الدلالى:

١- تخصيص الدلالة (تضييق المعنى): Narrowing of Meaning

"وهو أن يضيق معنى الكلمة بمرور الزمان فتتحول دلالتها من معنى كلى إلى معنى جزئى ، أو يقل عدد المعانى التى تدل عليها أى أن الكلمة أصبحت بالتخصيص دالة على بعض ما كانت تدل عليه من قبل(٤).

مثال: كلمة أمر: التى تعنى فى بيئة الحاسباتبيا((بعملية يُطْلَبْ إلى الحاسب تنفيذها"(٥)

والكلمة عند العرب بمعنى الطلب وهو ضد النهى وهذا معنى عام:

الأمر معروف، نقيض النهى ، أمره به وأمره إياه ، على حذف الحرف ، يأمره أمرا وإمارا فأتمر قَبِلَ أمره ، وقوله عز وجل[وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ] وقوله عز وجل[أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ](٦)

ثم أصاب هذا اللفظ التخصيص لأنه يدل على طلب محدد موجه إلى الحاسب الآلى خاصة، ومن ثم لا يمكن للمترجم أن يترجمه بهذا المعنى.

٢- تعميم الدلالة : (توسيع المعنى) Widening of meaning

وهو عكس الاتجاه السابق ، بمعنى تحويل الدلالة من المعنى الجزئى إلى المعنى الكلى ، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعانى أكثر مما كانت تدل عليه من قبل ، أو تدل على معنى أعم من معناها الأول(٧).

---

(٤)فريد عوض حيدر، علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية. مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٦ ، ص ٧٥

(٥)فريد عوض حيدر. دراسات لغوية فى تكوين المصطلحات العلمية ١٩٩٥ ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية،ص١٠٤.

(٦)لسان العرب ، ابن منظور ، دار صار بيروت ، ط٦. ١٩٩٤م. ص ١٢٥.

(٧)فريد عوض حيدر ، علم الدلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٧٦

مثال لفظ كتب : يذكر ابن منظور فى لسان العرب ، ص ٣٨١٦: [٨]

الشَّئ ْ يكَكْتُبُه ُ كَتْبًا وكِتابًا وكِتابةً ُ وكتبه خطَّه ُ

قال أبو النجم:

أَقْبَلتُ ُ من عِند زِياد ٍ كالخَرِف ْ

تخُطُّ رِجلاي َ بخَطٍّ مُخْتَلِف ْ

تكتبان فى الطريق لام الف ْ .

يذكر الدكتور حسن محمد عبد المقصود[٩] فى كتابه ((الدلالات السياقية لمادة ((كتب)) فى القرآن الكريم)) (ص٦٣) قائلا: حدث توسيع للدلالة لمادة (كتب) فى القرآن الكريم على النحو التالي:

الاتجاه الأول: التوثيق والتسجيل والذى يتضمن خمسة مجالات فرعية وهى:

١- التداين [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] [البقرة : ٢٨٢]

اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم] [النمل: ٢٨ ، ٢٩)

---

(٨)لسان العرب ، ابن منظور ، دار صار بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٣٨١٦

(٩)حسن محمد عبد المقصود ، الدلالات السياقية عادة "كتب" فى القرآن الكريم ، مكتبة الآداب ، بدون تاريخ ، ص٦٣.

٣- سجل إحصاء الأعمال: قال تعالى: [وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً] [الإسراء : ١٣ ، ١٤)

٤- العهد والمعاهدة: قال تعالى: [وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] [النور : ٣٣)

٥- النحل والعلاج: قال تعالى: [فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ] [البقرة : ٧٩]

الاتجاه الثانى : الكتب السماوية والذى يشمل أربعة مجالات فرعية هى :

١- اللوح المحفوظ: قال تعالى: [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] [التوبة : ٣٦]

٢- عموم ما أنزل الله: قال تعالى: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]

[البقرة : ١٢٩]

٣- من كتب أهل الكتاب : التوراة والإنجيل: قال تعالى: [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ] [البقرة : ٤٤]

٤- القرآن الكريم: قال تعالى: [وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ] [البقرة : ٨٩]

الاتجاه الثالث: الحتمية والثبوت والذى يشمل ثمانية مجالات فرعية وهى :

١- الاتصاف والتوصل إلى ذلك قوله تعالى [الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [الأنعام : ٥٤]

٢- الأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة الذي كتب الله لكم لا ارتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين] [المائدة : ٢١]

٣- التثبت واليقين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون] [المجادلة : ٢٢]

٤- التخصيص والاكتتاب [واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون] [الأعراف : ١٥٦]

٥- العلم والدين: قال تعالى [ومن يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير] [الحج : ٨]

٦- القضاء والقدر : قال تعالى [إن الله لقوي عزيز]

[المجادلة ٢١]

٧- الموعد : وقال تعالى [وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم] [الحجر : ٤]

٨- الوجل: قال تعالى [ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا] [النساء : ٧٧]

الاتجاه الرابع : الاختيار : ويشمل مجالين فرعيين هما :

١- الأبلغية : قال تعالى [أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] [البقرة : ١٨٧]

٢- العطاء والمنح: قال تعالى [وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] [الأعراف : ١٥٦]

٣- رقي الدلالة : Amelioration

وهو مظهر من مظاهر التغير الدلالى يسمو فيه اللفظ دلاليا ليدل على معان أرفع أو أقوى مما كان عليه.

مثال : لفظ رسول: يذكر بن منظور فى لسان العرب ص ١٦٤٤: (١٠)

بمعنى الرِّسالَةُ: ، يؤنث ويذكر ، ويقال هى رَسُولُكَ ، وتراسل القوم أَرْسَلَ بعضهم بعض ، والرسول الرِّسالَةُ والمُرْسَلُ ، وأنشد الجوهري فى الرسول الرسالة للأَسْعَرِ الجُعْفيُّ :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبا عَمْرٍو رَسُولاً بِأَنّى عَنْ فُتاحَتِكُمْ غَنِيُّ

وفُتاحَتِكُمْ أى حكمكم.

ثم أخذ هذه اللفظ مكانة سامية بإطلاقه على الرسل المرسلين من قِبَلِ الله عز وجل:

قال تعالى [إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] [الشعراء : ١٦]

مثال آخر لرقي الدلالة:

يذكر إبراهيم السمرائي ، فى كتابه التطور اللغوى التاريخي ، ص ٢٣٤ لفظا مهما وهو لفظ "مؤتمر" قائلا:

---

(١٠) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صار بيروت ، ط ٦. ١٩٩٤ ، ص ١٦٤٤

"هذه كلمة اصطلاحية جديدة يراد منها أن تكون مقابلا لـ Congress فى أمر ما والائتمار والاستئمار والمشاورة وكذلك التآمر وكذلك المؤامرة ، وعلى هذا فإن التآمر والمؤامرة بمعناها الحديث وهو المكيدة والغدر والخديعة لم يكن معروفا ولم يرد شئ من هذا المعنى إلا فى "الائتمار إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ] قال أبو عبيدة: أي يتشاورون عليك ليقتلوك ، وعلى هذا فإن هذه الكلمات ((مؤامرة)) و ((تآمر)) من الكلمات المعروفة التى شاعت وكثر استعمالها فى المعنى المشار إليه فى أعلاه وهى تعد من باب المولد الجديد الذى ينبغى أن ينص عليه."

٤- انحطاط الدلالة: Pejoration

وهو عكس الاتجاه السابق ، حيث يضعف اللفظ فى الأذهان بعد أن كان يستخدم ليدل على دلالة أكثر رقياً وسمواً .

مثال: لفظ ((حُفْ)) الذى ورد فى قوله تعالى [إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى] يعنى[١١] الكتب المنزلة عليهما ، صلوات الله على نبينا وعليهما، هذا اللفظ فى العربية المعاصرة قد أخذ دلالة أقل سمواً ورقيا فصار يدل على الجرائد اليومية التى تمدنا بالأنباء من حولنا.

والأمثلة الوار دة فى موضوع البحث هدفها:

أ إظهار أن المسألة موضع البحث عامة فى القرآن الكريم وأنه سوف يُخْتار حقلاً دلاليا أو أكثر بعد أن تبين شيوعها في القرآن الكريم.

ب- بيان أن هناك مراجع أشارت إلى المسألة موضوع البحث وأن هناك مراجع ومصادر يمكن الرجوع إليها وا ٍغناء الموضوع بها ، سواء كانت مصادر قديمة أو حديثة وأنها يمكن أن تعمل معا فى إنتاج ترجمة دقيقة لمعاني القرآن الكريم ، تأخذ في الاعتبار التطور الدلالي للفظة المعاصرة فى علاقتها بترجمة القرآن الكريم خاصة والترجمة عامة.

عينة البحث:

---

(١١) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صار بيروت ، ط٦ ، ص ١٤٠٤.

في دراستنا لظاهرة التغير الدلالي نجد أن هناك تطورا دلاليا قد حدث للفظة القرآنية فأوضح معناها أكثر بما يخدم النص القرآني:

ومثالا لذلك لفظ "شورى" الذي ورد في الآيات الكريمة الآتية:

(١) قال تعالى: [فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ]

((آل عمران: ١٥٩))

(٢) وقال تعالى: [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] ((الشورى : ٣٨))

(٣) وقال تعالى: [فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا]

((البقرة : ٢٣٣)

يذكر الدكتور شوقي ضيف في معجمه "الوجيز في تفسير القرآن الكريم"[١٢] ، تعليقا على الآية الكريمة [فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ] : ص١٢٩ قائلا " تدل الآية الكريمة على الأمر بالشورى في شئون الأمة "

ويعلق كذلك على الآية الكريمة [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] : ص ٨٠٩[١٣] " أي يتشاورون في جميع أمورهم وهذا يدل على أن الشورى هي أساس الحكم في الإسلام"

كما يشير المعجم أبا القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني، إلى[١٤] نفس المعنى :

"التشاور والمشاورة والمشورة واستخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض"

كما يشير الوسيط إلى نفس المعنى : [١٥]

---

(١٢) شوقي حنيف ، الوجيز في تفسير القرآن الكريم ، دار المعارف ، ١٩٩٤ ، ص ١٢٩.

(١٣) نفس المرجع السابق ، ص ٨٠٩

(١٤) أحمد زيدان ، دينا زيدان ، ١٩٩٢ ، ترجمة معاني القرآن الكريم ، الأزهر الشريف مجمع البحوث الإسلامية ، الإدارة العامة للبحوث والتاليف والترجمة ، ص ٤٨٧.

(15)Enani M (2000) on Translating Arabic, A cutulral Approach , General.

"الشورى : التشاور والشورى الأمر الذي يتم التشاور فيه".

في دراستنا لمدلول هذا اللفظ ومقارنته دلاليا بمفهوم "الديموقراطية في العصر الحديث كما يوضحه المعجم الوسيط [١٦]:

الديموقراطية (سياسيا) : إحدى صور الحكم التي تكون في السيادة للشعب.

يتضح لنا التشابه والعلاقة الوثيقة بين المدلولين ، إلا أننا نتساءل : هل الشورى في في العصر الإسلامي اتخذت نفس المظاهر السياسية للشورى في العصر الحديث ، ونعني بذلك ، هل الديموقراطية في العصر الحديث تأخذ نفس المحور الدلالي خاصة مع مسألة "الانتخابات" ، "الاستفتاءات" ، ومن هنا يثار التساؤل : هل للمترجم في العصر الحديث أن يترجم هذا اللفظ "الشورى" في القرآن الكريم بـ "democracy" ، وهنا نقترح أن يترجمه المترجم بـ "democracy" وليس "consultation" كما أوردتها ترجمة معاني القرآن الكريم [١٧] للدكتور : أحمد زيدان ، السيدة : دينا زيدان ، خاصة وأن هذه الترجمة سوف تعطي لقارئ الترجمة معاني القرآن الكريم ، خاصة في الدول الغربية ، مفهوم أن الديموقراطية هي أساس الحكم في الإسلام وأساس بناء الدولة الإسلامية منذ نزول القرآن العظيم، وحتى الآن وما يترتب على ذلك من إيضاح أن الحضارة الإسلامية هي حضارة حوار مع الآخر ، حضارة تحترم الفكر الإنساني على الرغم من أنها قد تختلف معه ، حضارة تلاقي مع الآخر وليس تصادم للحضارات ، وبذلك تكون ترجمة مثل هذه اللفظة القرآنية أساساً متينا لإظهار حقيقة المبدأ الديموقراطي كأساسي للحكم في الدولة الإسلامية.

ومن ثم يتضح أن : في مثل هذه اللفظة القرآنية يتلاقى مدلول اللفظ في القرآن مع مدلوله في العصر الحديث فيسهم هذا التطور الدلالي في إيضاح معنى اللفظ القرآني بما يخدم النص القرآني.

وكذلك فإنه في دراستنا لظاهرة التغير الدلالي نجد أن هناك تطوراً دلالياً قد حدث للفظة القرآنية فزاد من غموضها الدلالي ومثالا لذلك : لفظ "الحكم".

---

(١٦) ابن القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، دار التحرير للطبع والنشر ، ص ٢٧٠.

(١٧) د. محمد عبد الحليم ، المعجم الوسيط ، الطبعة الأولى مكتبة ، الصحوة ، ص ٥١٨.

يذكر الدكتور محمد عناني في كتابه "الترجمة للعربية ، مدخل ثقافي ، ص ٢٣ : إن هذه اللفظة "الحكم" – والتي تشير في معناها القديم إلى " الفهم والبصيرة والقدرة على إدراك الأمور" وذلك هو معناها في الآية الكريمة :

آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً] ((يوسف: ٢٢)) – صارت تستعمل في العصر الحديث بدلالات مختلفة ، فنجدنا نستعمله في "أحكام القضاء" ، "لفظ "حاكم" و "قاضي" ، "تنفيذا أحكام الاتفاقية" ، "الحكم بالإعدام" ، "نظام الحكم" ، "النظام الحاكم" ، "محاولة قلب نظام الحكم" ، "الإطاحة بالحكومة" ، "نزاهة الحكم"إن كان بعضه هذه المعاني قد ورد أيضا في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى:

لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ] ((المائدة : ٤٤))

لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] ((المائدة : ٤٥))

لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ] ((المائدة : ٤٧))

وهنا تتضح أهمية أن تحدث عملية الترجمة وفقا للسياق اللغوي الذي يندرج اللفظ في إطاره ، إلا أن المترجم بطبيعة الحال في حاجة ماسة إلى فهم مدلول اللفظ على الجانب التفسيري والسياقي ، إضافة إلى فهم التطور الدلالي الذي أصاب اللفظ حتى يصبح قادراً على اختيار المقابل الصحيح والمناسب للفظة القرآنية.

مثال آخر : لتطور دلالي زاد من غموض اللفظةالقرآنية دلالياً :

لفظة " البيعة" الذي ورد في قوله تعالى :

الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ] ((الفتح : ١٠))

يَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] ((الفتح : ١٨)

فَتَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم] ((الممتحنة : ١٢))

وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ] ((البقرة : ٢٨٢))

المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ]

((الممتحنة:١٢)

يذكر الأصفهاني ص ٦٧: " بايع السلطان إذا تضمن بذل الطاعة له ويقال لذلك بيعة ومبايعة وفي العصر الحديث نَدُرُ استعمال هذا اللفظ سياسياً لتحل محله ألفاظ سياسية أخرى مثل "التأييد" ، "النصرة" و "التولية" و "الاختيار" مما زاد من صعوبة الأمر على المترجم وجعله في حاجة ماسة إلى إدراك التطور الدلالي الذي أصاب اللفظ ، وهنا يثار التساؤل المهم الآتي:

" كيف نتيقن بوصفنا مترجمين إن الإشارة لمدلول دون مدلول آخر وأعني "المدلول الحديث أو المدلول القديم له وهنا ننصح المترجم بما يلي:

أولا: تبدو الحاجة ماسة إلى التعمق في قراءة كتب التفاسير.

ثانيا: تبدو الحاجة ضرورة إلى تتبع مدلول اللفظ تاريخيا.

ثالثا: من الأهمية دراسة اللفظة القرآنية في سياقها والنظر لها على إنها جزء من تركيبة تؤثر فيها وتتأثر بها.